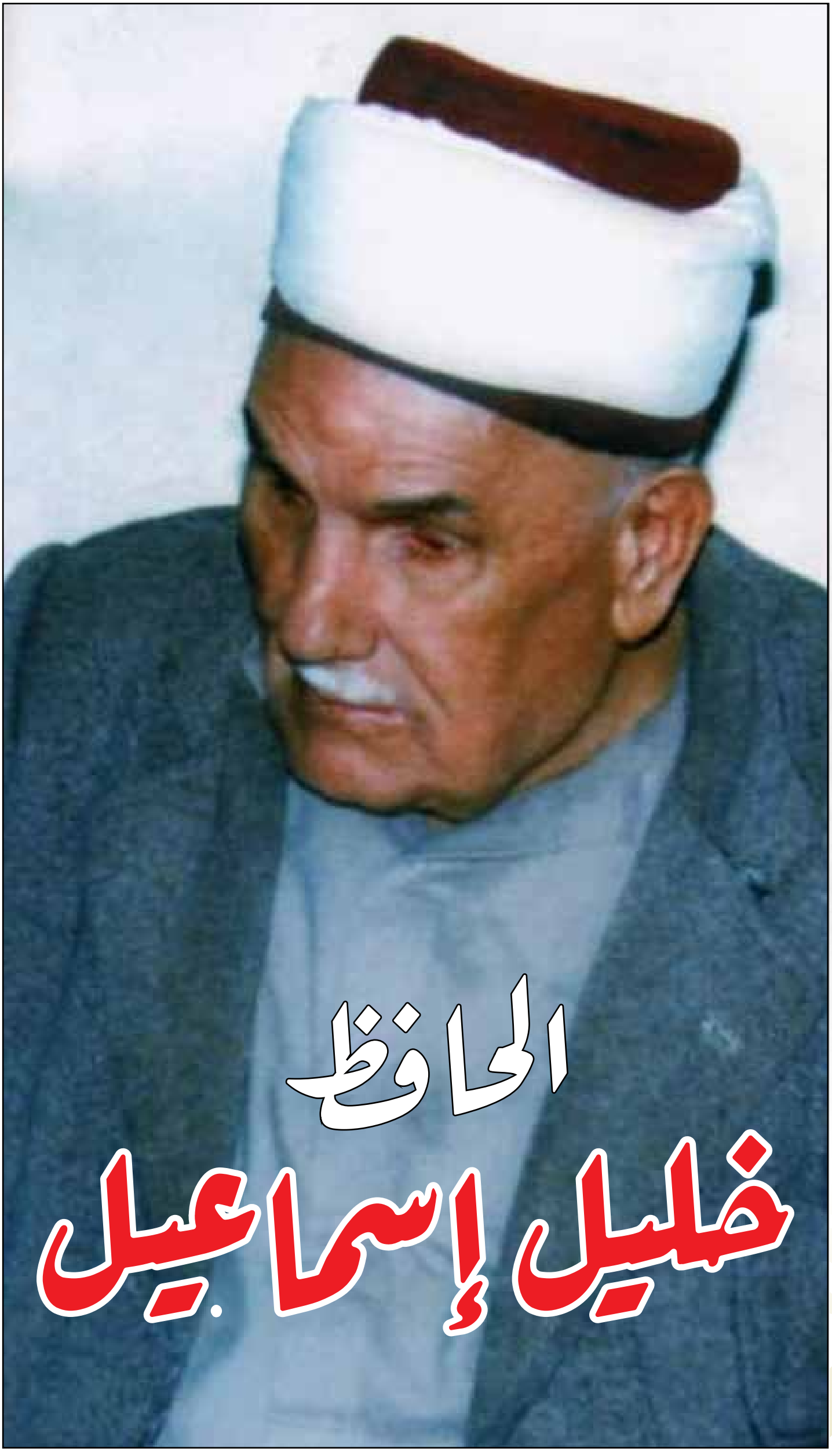

الحافظ
خليل إسماعيل

مراجعات

من زمن التتوهيج

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة

المدى

للإعلام والثقافة والفنون

www.almadasupplements.com

رئيس مجلس الادارة
رئيس التحرير

فخري كريم

العدد (5171) السنة التاسعة عشرة
- الخميس (21) نيسان 2022

أصوات من السماء.. الحافظ خليل إسماعيل صوت الشجن البغدادي في تلاوة القرآن الكريم

مروان الجبوري

لم يكن صوتا عابرا أبدا، فقد ترك آثاره في وجدان العراقيين لعقود طويلة، حين كان جهاز المذياع وسيلتهم للتعرف على العالم من حولهم، ثم انتقل بعد ذلك إلى التلفاز وأشرطة التسجيل، التي جعلت صوته جزءا من الهوية العراقية الحديثة.رافقهم في رمضان ومناسباتهم الدينية، وفي أحزانهم وذكرياتهم، فكان هذا الصوت الشجي عنوانا لمرحلة من تاريخهم الشخصي، إنه الحافظ خليل إسماعيل أشهر قراء القرآن الكريم في العراق.

وقد أنجبت مدرسة القراءة العراقية العديد من الأسماء قديما وحديثا، وكان من أبرز روادها مهدي العزاوي وسعيد حسين القلقالي ووليد الفلوجي وعبد المعز شاكر وغيرهم؛ لكن أهم هذه الأسماء، وربما عميدها هو الحافظ خليل إسماعيل العمر، الذي يلقبه البعض بشيخ القراء العراقيين.

ولد المقرئ خليل إسماعيل العمر الجبوري عام ١٩٢٠ في منطقة سوق حمادة بجانب الكرخ في بغداد، وتربى في بيئة دينية حببت إليه تعلم القرآن وتلاوته، ورغم فقدانه البصر منذ سن مبكرة؛ إلا أن ذلك لم يمنعه من مواصلة تعليمه، فتابع دراسته في مجال العلوم الشرعية في عدد من المساجد والمدارس.

واستقبلته إذاعة بغداد عام ١٩٤١ ليكون ضيفا دائما عليها، لما عرف عنه من حسن الصوت وجودة الأداء، ونال لقب الحافظ عام ١٩٤٢، حين أجرت الإذاعة اختبارا للمقرئين، من لجنة ضمت عددا من العلماء الشرعيين، وممثلي الأوقاف ووزارة العدل وقاضي بغداد وآخرين، فحاز على اللقب لتميز قراءته، ومعرفته بالأحكام الدينية أيضا.

ثم سافر لعدة بلدان عربية، وقرأ في جوامعها الكبيرة والمشهورة، كالمسجد الأقصى في القدس، وفي مصر والكويت، واستطاع أن يلفت أنظار العديد من القراء، ومن بينهم القارئ المصري عبد الفتاح الشعشاعي، الذي يروى أنه قال عنه "إني لم أطرب ولم أسمع مثل الشيخ المقرئ الحافظ خليل».

جذور العلاقة بالمقام

ومنذ أن قامت الحضارة في فجر تاريخ بلاد الرافدين نشأت الموسيقى، ورافقتها أنماط مختلفة من الإنشاد الديني المصحوب بآلات إيقاعية أو وترية طورا، وبدونها طورا آخر، وأدى كل ذلك إلى تطور أنساق معينة من الأداء الصوتي، عرفت لاحقا بالمقام، انتعشت كثيرا في العهد العباسي، ثم العثماني، وصولا إلى العصر الحديث.وتأثرت قراءة القرآن كثيرا بالمقام العراقي، وبات القراء يوظفون هذه المقامات في التلاوة والتجويد، ونشأت مدارس للقراءة عرفتها المدن العراقية، وخاصة بغداد والموصل وواسط؛ إلا أنها ظلت حتى وقت قريب غير معروفة في العالم العربي إلا للمتخصصين.

ويقول عدد من النقاد الفنيين إن الحافظ خليل كان يُطوّع المقام لصوته ويأخذ بزمامه، وله طريقة فريدة في الانتقال بين الأنغام، حتى ينسى المستمع المختص أسماءها ويعجز عن تصنيفها خلال التلاوة، كما يؤكد ذلك قارئ المقام مصطفى الزبيدي.ويضيف أن الحافظ خليل قد تميز بصوت جهوري يمتلك مساحة عالية، لفتت الأنظار إلى صوته، وجعلت له مهابة وإجلالا في المحافل التي يقرأ فيها، وهو ما جعل الكثيرين يقولون إنه كان يرتل القرآن بطريقة "تصويرية" تؤثر في السامعين، بشكل يختلف عن الآخرين.

واستطاع بموهبته وأدائه وأسلوبه أن يبدع في توظيف المقامات وسلسلتها من البداية حتى النهاية، ومن التحرير إلى التسليم –وفقا لطريقة أداء المقام– بشكل منضبط وبما يلائم أحكام التلاوة، حتى قيل إنه قرأ خلال حياته أكثر من ١٢٠ نغما ومقاما خلال تلاوته للقرآن الكريم، وفقا للزبيدي.

توظيفه للمقام والنغم

وعلى الصعيد الشخصي، اشتهر الحافظ خليل بأنه لم يكن يقرأ في المآتم أو المقابر، مما جعله مقدّرا عند عامة الناس، ومقصدا للشخصيات العامة، التي كانت تحضر إلى المساجد التي يجوّد فيها القرآن للاستماع إليه.ولعمق الصلة بين أسلوب قراءة القرآن وفق الطريقة البغدادية وفن المقام، فقد لفت هذا الصوت العديد من الفنانين الكبار، ومن بينهم الراحل محمد القبانجي، الذي وصف الحافظ خليل بأنه "بستان الأنغام العراقية الأصيلة».

ويرى الفنان محمد سجاد الرفاعي أنه بالإضافة لتميز الحافظ خليل باستخدامه الواسع للمقامات العراقية في قراءة القرآن؛ بالقطع والأوصال كما يعرفها قرّاء المقام، فإنه أدخل في قراءته مقامات ريفية لم تكن تقرأ قبله، ورغم أنه كان يقرأ القرآن على طريقة المقام؛ لكنه كان ملتزما جدا بأحكام التلاوة.وقد اشتهر من قراء العراق قبل الحافظ خليل ٣ مشايخ، كانت لهم مدارسهم الخاصة، وهم الحافظ مهدي العزاوي، وعبد الفتاح معروف، ومحمود عبد الوهاب.ثم أتى الحافظ خليل –وهو من مدرسة الشيخ عبد الوهاب– لكنه طور تلاوته، ومزج بين قراءة الأطوار الريفية، وحتى بعض الأنغام العربية خلال التلاوة.وكان بالإضافة إلى ملكة الصوت، التي لديه، يتميز بحنجرة شجية ورخيمة، يشبهها الكثيرون بحنجرة الفنان وقارئ المقام يوسف عمر.

ويشير الفنان محمد سجاد –الذي شارك مؤخرا في مسابقة عراق آيدول الغنائية– إنه بالرغم أن الحافظ خليل قرأ في القدس والكويت ومصر ونال الكثير من الإعجاب والاهتمام؛ إلا أنه وسواه من المقرئين العراقيين لم يحوزوا شهرة واسعة في العالم العربي لسببين؛ الأول هو أنه لم تكن هناك عملية تسويق للقراءة العراقية، كما هو الحال مع الشعر وبقية الآداب والفنون العراقية الأخرى، التي لم تكن واسعة الانتشار في العالم العربي حتى وقت قريب.أما السبب الثاني، فهو أن القراءة العراقية صعبة، ولا يجيدها إلا من يتقن المقام العراقي، فيما القراءة المصرية أكثر سهولة، وقريبة لطرق التلاوة والتجويد في معظم البلدان العربية، لذا انتشرت أكثر من غيرها، على حد قوله.

استمرت مسيرة الحافظ خليل إسماعيل في قراءة القرآن خلال عقود من الزمن، حتى حانت وفاته في ٥ يوليو/تموز عام ٢٠٠٠، وخرجت بغداد لتودعه، وسار في جنازته المئات من محبيه إلى مثواه في مقبرة الكرخ (غرب بغداد)؛ لكن تلامذته ما زالوا يواصلون التعلم منه، ونشر تسجيلاته الصوتية عبر منصات التواصل الاجتماعي.

الحافظ خليل.. نبراس العراق

عمرو الأمير

هو الشيخ الحافظ خليل إسماعيل عمر الجبوري، رحمه الله تعالى، من مشاهير القراء في العراق والوطن العربي، مقرئ الإذاعة العراقية الأول، ورئيس محفل القراء في جامع الإمام الأعظم، لقب بـ «الحافظ» لأن كلمة «الحافظ» تعني الملمّ بعلوم القرآن الكريم.

ولد الشيخ المقرئ الحافظ خليل إسماعيل العُمر في عام ١٣٣٨هـ/١٩٢٠م، في جانب الكرخ من مدينة بغداد، في محلة سوق حمادة، من أبوين مسلمين عربيين عراقيين، ومن عائلة متدينة.

حفظ القرآن الكريم وأتقن تجويده في صباه، وحين بلغ الثالثة عشرة من عمره دخل المدرسة العلمية الدينية في جامع نائلة خاتون، وقد اختصت هذه المدرسة بتعليم أصول الفقه والحديث والتفسير والعقائد وقراءة القرآن، وقد تخرج فيها سنة ١٩٤٣م للمرة الأولى إذ دخلها مرة ثانية سنة ١٩٤٤م، وتخرج فيها سنة ١٩٥٣م، ونال الشهادة الدينية وكان الأول على أقرانه، ونال جائزة قدرها ثلاثون دينارا على تفوقه.

شيوخه

- تتلمذ على يد الملا محمد ذويب الذي كان إمام مسجد السويدي القريب من مسكنه في محلة خضر الياس.
- تعلم علوم التلاوة والتجويد على الملا جاسم سلامة الذي أشرف عليه واحتضنه كثيراً لذكائه المتميز وقد كان ملتزما بتوجيهات شيخه السديدة.
- درس على يد الملا رشيد، ثم الملا عبد الله عمر، ثم الملا إبراهيم العلي، ثم الملا عواد العبدلي، وقد كانوا من كبار القراء في بغداد.
- كان للشيخ نجم الدين الواعظ الفضل الأكبر في مسيرة الحافظ خليل إسماعيل وفي شهرته وسمعته في عالم التلاوة والتجويد، إذ كان له مرشداً ومعلماً ومربياً وموجهاً، وكان يتلقى منه دروساً يومية منتظمة في النحو والصرف والتجويد. وكان لتشجيع الحاج نجم الدين الواعظ فعله المؤثر في نفسه، فقد كان يحب تلاوته ويحب أن يسمع منه مقام الخلوتي من الماهوري والحويزاوي والمخالف والبهيرزاوي.و كان الشيخ قاسم القيسي يحب أن يسمع منه قراءة القرآن الكريم على نغمة التوريز.

محطات في حياته

- في سنة ١٩٣٧م عين الشيخ المقرئ الحافظ خليل إسماعيل في جامع السراي.
- في مدرسة نائلة خاتون الدينية عين مقرئاً ومتعلماً في آن واحد.
- شغل رئاسة محفل القراء في جامع الإمام الأعظم.
- تنقل إلى عدة جوامع منها جامع صندل وجامع شهاب الدين السهروردي.
- كان آخر مطافه ببغداد في جامع الحاج بنية.

أداؤه في التلاوة

كانت قراءته تصويرية لمعاني الآيات تؤثر بالسامعين ويوضح السبب في ذلك بقوله: إنني عندما أقرا القرآن الكريم أجعل أمامي قول النبي صلى الله عليه وسلم: «زينو القرآن بأصواتكم فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا»، وقوله: «من لم يتغن بالقرآن فليس منا»، وقوله: «ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن الكريم يجهر به». وكان هذا من الأسباب التي تشجعه على القراءة وفق الأنغام المقامية البغدادية الأصيلة.

في الإذاعة

في سنة ١٩٤١م، تقدم الشيخ خليل إسماعيل

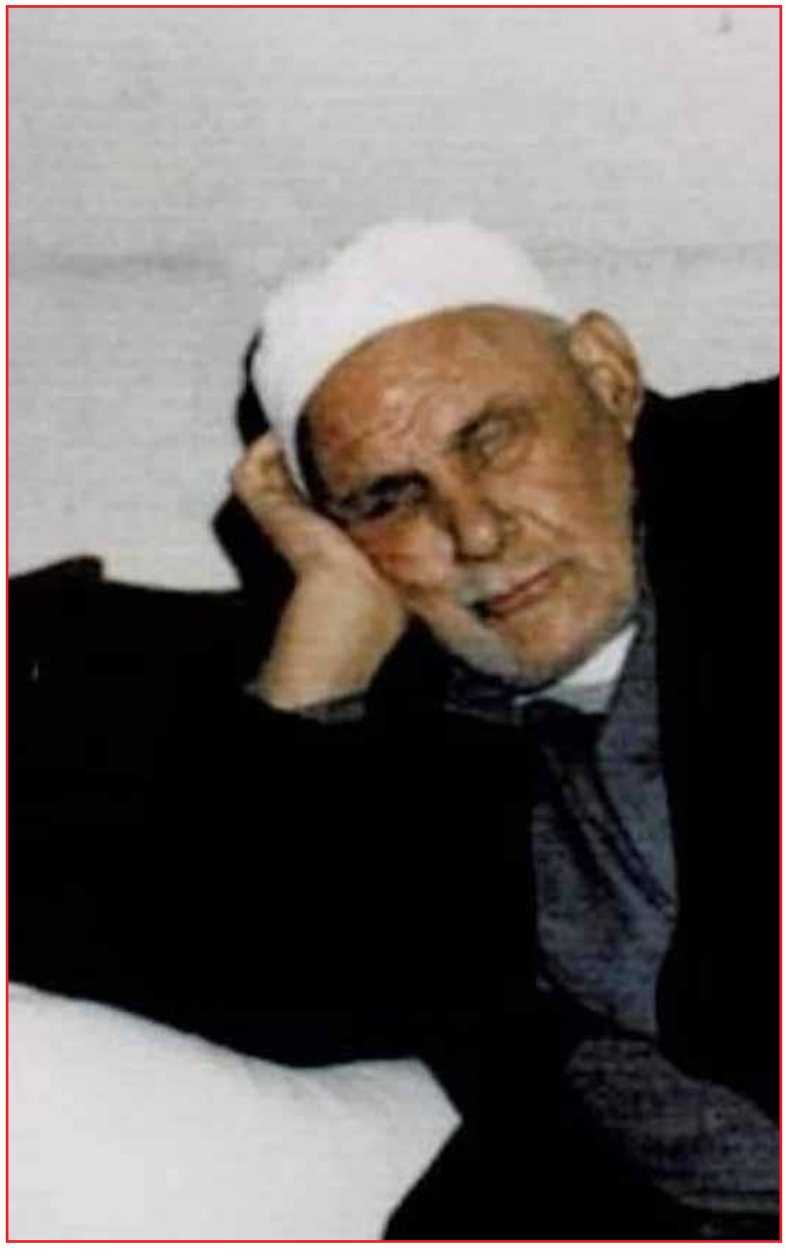

ليكون مقرئاً في دار الإذاعة، حيث اختبر مقرئاً في دار الإذاعة العراقية وكانت أول تلاوة له في يوم ١٩٤١/٩/١١م وكانت من سورة المؤمنون، وكان البث في دار الإذاعة حينها على الهواء مباشرة.

وفي عام ١٩٤٢م، وجه الأستاذ الكبير نشأت السنوي دعوة إلى دار الإذاعة يدعوهم فيها إلى الرعاية والعناية بالمقرئين في دار الإذاعة وإلى توجيه الدعوة لجميع المقرئين في الإذاعة للحضور إلى ديوان مديرية الأوقاف لإجراء الاختبار والامتحان لمن يستحق أن يلقب بلقب «الحافظ» لأن كلمة «الحافظ» تعني معرفته لعلوم القرآن الكريم.

وبعد إجراء الاختبار والتمحيص من لجنة ألفت من ثلاثة من كبار العلماء وممثل عن الأوقاف وآخر عن وزارة العدل وقاضي بغداد وكاتب المجلس، وكان أحدهم الحافظ سيد الجوادي وهو من أهالي الموصل، وكان مقرئاً آنذاك في دار الاذاعة. فلم يوفق في الحصول على هذا اللقب في ذلك الامتحان سوى الحافظ خليل إسماعيل. لذا فإنه لم ينل لقب الحافظ اعتباطاً أو مجرد صدفة، بل ناله بجدارة واستحقاق عاليين، وقد وصفه الأستاذ محمد القبانجي بأنه «بستان الأنغام العراقية الأصيلة»، إذ إن نغم ومقام الزنكران لم يجرؤ أحد من المقرئين أن يقرأه أبدا إلى يومنا هذا لصعوبة أدائه وترتيله في أحسن حاله، ولكن الحافظ إسماعيل يقرؤه بكل إتقان ودقة متناهية.

وفي عام ١٩٥١م، عندما زار العراق المقرئ الشيخ عبد الفتاح الشعشاعي، قال بحقه: «إني لم أطرب ولم أكن أسمع مثل الحافظ خليل»، وهذا التصريح مثبت في الصحف البغدادية التي نشرت هذا القول للشيخ الشعشاعي.

في القدس الشريف

وفي عام ١٩٦١م، سافر المقرئ خليل إلى القدس الشريف، وقد قرأ في حرم القدس الشريف ونال إعجاب المستمعين هناك. وفي عام ١٩٧٩م وجهت له دعوة من وزارة الأوقاف العراقية للسفر إلى الكويت لقراءة القرآن الكريم خلال شهر رمضان، وهناك أجريت له مقابلات تلفزيونية وصحفية كثيرة وكان المقرئ الوحيد الذي مثل العراق أحسن تمثيل ونال استحسان كل من معه هناك؛ لأن القراءة العراقية ذات شجون في عالم التلاوة القرآنية.

وكان قد سجل القرآن الكريم كاملا مرتلا وعلى النغمات، وقرأ القرآن في عدد من الدول العربية والإسلامية ومنها المسجد النبوي في المدينة المنورة والمسجد الأقصى وجامع السيدة زينب في دمشق. وكانوا يعجبون به أشد الإعجاب.

وفاته

وفي مطلع عام ٢٠٠٠م، اشتد عليه مرضه ولم يمهله طويلاً، فدخل دار التمريض الخاص في ٢٣ يناير ٢٠٠٠م، وأجريت له عملية غسيل للكلى، وبقي على هذه الحالة إلى يوم ٣ تموز ٢٠٠٠م، عندما دخل المستشفى لغسل الكلية للمرة السادسة والأخيرة، ولقد توفي بعد ظهر يوم الاربعاء ٢ ربيع الثاني ١٤٢١ هـ/ ٥ يوليو ٢٠٠٠م، وفي صباح اليوم التالي شيعت بغداد الحافظ خليل من جامع المعز تشييعاً مهيباً إلى مثواه الأخير في مقبرة الكرخ في أبي غريب، يتقدمهم أصحاب الفضيلة العلماء والاحباب والكتاب والشعراء ولفيف من المقرئين وجمع غفير من المواطنين الذين أتوا ليشاركوا مصابهم الأليم، وأقيم مجلس العزاء من قبل أسرته في جامع عادلة خاتون في بغداد.

طريقة التلاوة البغدادية في ذاكرة أحد أعلامها

رفعة عبد الرزاق محمد

اذا ذكرت مدارس التلاوة القرآنية، ذكرت الطريقة البغدادية في طليعة القراءات واكثرها انسجاما مع التراث النغمي العربي، واكثرها حفاظا على التنوع المقامي واصوله التي درج عليها مؤدوه. وقد حافظت الطريقة البغدادية على ما توارثته عبر اجيال من القراء حتى العصر الحديث وشيوع مدارس اخرى، كالطريقة المصرية التي وجدت لها في العراق مستمعين كثيرين لشيوع استخدام الراديو وزيارات القراء المصريين للعراق.

غير ان الطريقة البغدادية استقرت في ذاكرة بغداد ووجدانها. وحفظ تراث الرواد من اعلامها وتناقلته الاجيال بكل تجلة واعجاب. وبرزت اسماء كبيرة كالملا عثمان الموصلي وجاسم السلامة والحافظ مهدي العزاوي وملا خماس وعبد الفتاح معروف ومحمود عبد الوهاب وعبد القادر الخطيب وعبد الستار الطيار وعبد المنعم ابو السعد وحيدر الجوادي وعلي حسن داود وقصي ابو السعد وعبد المعز شاكر ومحي الخطيب وعلاء القيسي وغيرهم ممن خانتنا الذاكرة بذكرهم.

ويبقى الحافظ خليل اسماعيل شيخ الطريقة البغدادية والمثل الاعلى في ادائها، ومن محاسن الايام ان يحفظ تراث هذا الرجل في صدور محبيه وفي الات الحفظ الحديثة ليبقى ثروة اقرائية وفنية للاجيال التالية. ومن محاسن ايامي – وما اقلها – ان التقيت بالحافظ خليل اسماعيل لمرات عديدة في بيته في منطقة العطيفية ، وكان غير بعيد عن بيتي، وسمعت منه الشيء الطيب عن طريقته في التلاوة وتاريخها. وكان كثيرا ما يؤكد ان الطريقة العراقية تخضع لمذهب حفص ابو عمرو بن سليمان من القراءات السبع المجمع عليها، وقد عاش حفص في البصرة واتصل بالخليل بن احمد الفراهيدي ثم نزل ببغداد وقرأ بها... واكد ان العراقيين يعشقون هذه الطريقة ولايفضلون غيرها، ومن الطريف ان الملا عثمان الموصلي قرأ بالقراءات السبع لمعرفة ردود افعال مستمعيه، فوجد انهم لايستسيغون غير طريقة حفص التي درج عليها القراء منذ القدم.

وعندما جاء ذكر المقام العراقي وتاثر قرائنا به قال ان تاثرنا واضح جدا، كالحويزاوي والجاركاه والزنكان والمخالف والخنبات والشطراوي والعنيسي والمصلاوي والخابوري والمثنوي وسواها. وعندما زار الموسيقي العربي سامي الشوا بغداد، اكد علينا بالمحافظة على القراءة العراقية وقال انها مدهشة، مع انه رجل قبطي لكنه فنان كبير وله ذائقة دقيقة. وذدر انه تاثر كثيرا بالاستاذ محمد القبانجي وكان صديقا له، وبعده رشيد القندرجي والحاج سلمان الكفجي وجميل بغدادي وغيرهم من القراء الكبار. واضاف انه لم يأبه بالمواليد ويرى انها صنعة متعبة واحيانا تستهلك القاريء على الرغم من وجود الكثير من اللمحات الفنية التراثية الجميلة. ومن الطريف انه كلن يقول ان المواليد من شغل صوب الرصافة واهل باب الشيخ !!.

وانه صديق اغلب قراء المواليد مثل ملا خماس وعبد الستار الطيار وملا طه الشيخلي وملا ابراهيم ابو جريشة. ويقول انه حاول مرة قراءة المواليد في جامع ثريا بالكرخ واجاد.

وذكر انه من مواليد محلة سوق حمادة عام ١٩٢٠، ودرس على الملا رشيد والملا عبد الله والملا عواد العبدلي، ثم درس على الملا محمد ذويب امام مسجد خضر الياس في المدرسة السويدية في المسجد نفسه، وتعلم التجويد على يد جاسم السلامة النجدي في السنوات ١٩٣٢- ١٩٣٧، وبعدها دخل المدرسة الدينية في جامع نائلة خاتون في الحيدرخانة، وكانت بادارة الشيخ قاسم القيسي ثم الشيخ نجم الدين الواعظ. وتخرج فيها عام ١٩٤٣ ثم دخلها ثانية وتخرج عام ١٩٥٢ وكان متفوقا على اقرانه. ومن ذكرياته فيها ان الواعظ كان يحب ان يسمع منه مقام الخلوتي من الماهوري والمخالف والبهيرزاوي.

وفي عام ١٩٣٧ عين في جامع السراي المقابل للقشلة، ثم انتقل الى جوامع اخرى كان آخرها جامع الحاج محمود البنية قارئا ومدرسا. وكان الكثير من المعجبين بصوته وطريقته يحضرون الى هذه الجوامع للاستماع اليه وتسجيل ما يقرأه. وقد ذكر انه قرأ بنغم ومقام الزنكران، ولم يجرؤ احد من القراء على ذلك لصعوبته، لكنه قرأه باتقان كبير. وكثيرا ما كان يردد الحديث النبوي: زينوا القرأن باصواتكم فأن الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا.

وتحدث عن اول دخوله الاذاعة فقال: في عام ١٩٤١ ذهبت الى الاذاعة وكان مديرها فائق السامرائي وسكرتيره سلمان الصفواني، فاشارا علي ان اختبر لدى الحاج محمود عبد الوهاب فرفضت !.لكنهم سمعوني بعد فترة وانا اقرأ في جامع الشيخ صندل في الكرخ، فقبلوني بسرعة، واول تلاوة لي على الهواء كانت يوم ١١ تشرين الثاني ١٩٤١ واول مذيع قدمني هو حامد محمود الهاشمي، ثم اخذت اتلو مع عبد الستار الطيار والحافظ صلاح الدين.وفي عام ١٩٤٣ سجلت لي اذاعة لندن بعض التسجيلات اخذت تذيعها الى يومنا هذا.

في عام ٢٠٠٠ اشتد عليه المرض، فدخل دار التمريض الخاص في مدينة الطب ببغداد في اواخر الشهر الاول من تلك السنة، واجريت له عملية غسل الكلية، غير ان هذه العملية استمرت لمرات عديدة، فأ تعبته كثيرا حتى وافاه الاجل المحتوم ظهر الاربعاء الخامس من تموز ٢٠٠٠ فشيع تشييعا مهيبا من جامع المعز القريب من بيته في العطيفية الى مقبرة الكرخ العامة. ورثاه عدد من الشعراء، ومنهم الدكتور رشيد عبد الرحمن العبيدي بقصيدة مطلعها:

خلفت قالا في الجموع وقيلا
لما رحلت ولم تعد بديلا

ومما قاله فيها:

من بعد (مهدي) و(محمود) علت
نغمات صوتك انجدا وسهولا
وتركت في (عبد المعز) ملامحا
ليظل حسن ادائه موصولا

المدرسة العراقية في القراءة.. ودور الحافظ خليل "إسماعيل

أحمد الملاح

أهتم أهل العراق بالقرآن الكريم وعلومه وبلغت ذروة الإتقان والاحتفاء به في العصر العباسي عندما أصبحت بغداد قبلة العلماء، وشاعت في البلاد مدارس مختلفة كمدرسة واسط في القراءة ومدرسة الموصل ناهيك عن مدرسة بغداد، ولكل من هذه المدارس صفات خاصة وتتأثر بالمحيط الاجتماعي والجغرافي لها.

وقد وصف الرحالة الشهير ابن جبير إجادة قرّاء بغداد خلال زيارته لمجالس العلم في مساجدها، فيقول في وصف مجلس ابن الجوزي: "يبتدئ القراء بالقرآن وعددهم نيف على العشرين قارئًا، فينزع الاثنان منهم أو الثلاثة آية من القرآن يتلونها على نسق بتطريب وتشويق، فإذا فرغوا تلت طائفة أخرى على عددهم آية ثانية، ولا يزالون يتناوبون آيات من سور مختلفات إلى أن يكملوا قراءة، وقد أتوا بآيات متشابهات، لا يكاد المتقد الخاطر يحصل عددها أو يسميها نسقًا".

ويقول في وصف مجلس آخر: "فابتدروا القراءة على الترتيب وشوقوا وما شاؤوا، واطربوا ما أرادوا، وبادرت العيون بإرسال الدموع، فلما فرغوا من القراءة وقد أحصينا لهم تسع آيات من سور مختلفة".

رواد المدرسة العراقية

تغنى قرّاء بغداد بالقرآن الكريم فأجادوا في تطبيق حديث رسول الله "ليس منا من لم يتغن بالقرآن" واستخدامو معرفتهم وإتقانهم للمقامات فجعلوها في خدمة كتاب الله وغلب الطابع الحزين للشخصية العراقية على مدارس القراءة فكانت سمة خاصة ومميزة لهذه المدرسة، وعرفت التلاوة العراقية مصطحبة دائمًا بالشجن والحزن العراقي السرمدي، وتأثرت المدارس العراقية للقراءة باختلافات المقامات العراقية وفروعها القديمة والحديثة في مدن العراق، فاشتهرت المدرسة الموصلية بمقام البيات وترك وتأثرها بالنغم التركي، فيما استحوذت المدرسة البغدادية قراءة المخالف، أما مدرسة واسط فاشتهرت بقراءة القرآن بمقام باجلان وهكذا الحال في غالبية مدن العراق.

الشيخ الحافظ خليل قراءة مقام الزنجران

وإذا أردنا الحديث عن أشهر المدارس العراقية للقراءة، وهي المدرسة البغدادية فلا بد من البداية بعميدها الحافظ خليل إسماعيل الذي أتقن استخدام المقامات في قراءة القرآن حتى إنه قرأ القرآن بمقام الزنجران وهو من أصعب المقامات العراقية.

ولد الحافظ خليل عام ١٩٢٠ بمنطقة الكرخ في بغداد، وحفظ القرآن ودرس الفقه والتفسير في صباه وأذيعت تلاوته في الإذاعة العراقية عام ١٩٤١، ويعتبر الشيخ خليل مؤسس المدرسة العراقية التي تعتمد المقام في خدمة تلاوة القرآن.

ذاعت شهرة الخليل وقراء للمسلمين في المسجد الحرام والمسجد الأقصى وعدد من المدن العربية والإسلامية، وعاصره من الشيخ الحافظ حيدر الجوادي من الموصل والذي يعتبر من علماء قواعد التجويد في العراق ومن الرعيل الأول للمقرئين في العراق.وذاعت شهرة الحافظ خليل في العراق وخارجه، إذ قرأ في المسجد الحرام والأقصى وعدد من المدن العربية والإسلامية، وعاصره من قراء جيله الشيخ الحافظ حيدر الجوادي من الموصل، والذي يعتبر من علماء قواعد التجويد في العراق ومن الرعيل الأول للمقرئين في بلاد الرافدين.

تعقب الحافظ خليل أجيال متعددة من القراء الذين أجادوا أمثال وليد الديمي وفراس الطائي وعامر الكاظمي وعلاء الدين القيسي.

القرآن الكريم والمقامات..

فيما برز جيل شبابي منذ تسعينيات القرن الماضي متميز في المدرسة العراقية عرف غالبيتهم بالإجادة والعلم بعلوم المقام وفروعه وكيفية خدمته لترتيل وتجويد كتاب الله ومنهم محمد العزاوي وشيرزاد عبد الرحمن ونعمة حسان فكانوا روادًا في العالم الإسلامي في هذا المجال.

تميز الشيخ عبد الرزاق عبطان الدليمي في أداء تلاوة القرآن، وسجل ثلاثة مصاحف وهي: "المصحف المرتل المحقق والمصحف المجود في بغداد والمصحف المرتل في دولة الإمارات"، وقد اعتنى الدليمي بالأداء التصويري والتبحر بالأنغام القرآنية حتى برع فيها وأصبح أستاذًا بها.

المدرسة العراقية وعقدة الانتشار

رغم أن الإجادة العراقية المبكرة في قراءة القرآن ترجع للقرون الهجرية الأولى، ورغم جهود مؤسس القراءات العراقية الحديثة ملا عثمان الموصلي وشهرته بين تركيا والحجاز، فإن القراءة العراقية بقيت حبيسة العراق ولم تصدر لغيره من البلاد الإسلامية.

ويفسر الدكتور ضاري العاصي ذلك بقوله: "الأداء بالطريقة العراقية تجده صعبًا وشاقًا على غير أهله ولهذا لا تجد أحدًا يستطيع تقليد مدرستنا بأسلوبها وطريقتها، بل تجد القارئ العراقي يستطيع تقليد كل المدارس القرآنية".

ويوضح سبب صعوبة قراءة القرآن بالطريقة العراقية فيقول: "القراءة العراقية متأثرة بالمقام العراقي، بأصوله وفروعه، فهو هويتها وصورتها وتراثها، ولهذا فالمقام يحتاج إلى حنجرة وصوت عريض ذي مساحة كبيرة بالجواب والقرار والميانة والبحة وهذا كله لا تجده إلا عند أهل العراق، وكل هذا يعود إلى بيئتهم وحياتهم وظروفهم وتاريخهم، لهذا فاللهجة والغناء والقراءة العراقية تحتاج إلى حنجرة خاصة لا يملكها إلا العراقي".

ورغم تلك الخصوصية، فإن بعض القراء في العالم الإسلامي تمكنوا من القراءة بالطريقة العراقية مثل السعودي عبد العزيز الزهراني والمغاربي إلياس حجري وأجادوها خاصة بعدما وفرت التكنولوجيا جسرًا تعبر منه المدرسة العراقية في القراءة للكثير من القراء الشباب في العالم الإسلامي.

ختامًا فإن المدرسة العراقية في قراءة القرآن الكريم بما تملكه من موروث معرفي بعلم المقامات وإتقان في أحكام التجويد، ووجود خامات صوتية عراقية عذبة، إضافة لتوافر التكنولوجيا الحديثة التي تمكنها أن تكون ممرًا للوصول للجمهور في عموم العالم الإسلامي، فقدت عذرها في مواصلة التقوقع على الذات، ويجب على روادها بذل جهد حقيقي في نشر هذا العلم خدمة لكتاب الله عز وجل، وبعثًا جديدًا في تدبر آياته.

الحافظ خليل اسماعيل.. بلبل الألحان

لؤي الشقاقي

عرف العالم العربي والشرق الاوسط ظاهرة
قرءانية فريدة ولن تتكرر هوالجنينة المعلقة وبستان الانغام وبلبل الالحان خليل اسماعيل عميد القراءة العراقية ودرة تاجها.
ولد خليل إسماعيل العُمر عام ١٩٢٠ في بغداد، المدينة التي احبها واحبته وترعرع فيها وتشرب روحها ووهبها صوته وروحه فصار من يسمعه وهو يتلو كلام الله يراها ويتخيلها، كرمها ورفع اسمها فكرمته ومنحته رتبة لا يرقى اليها الا المصطفين ووضعته في صف الخالدين.

درس وتتلمذ على يد كبار القراء والعلماء واخذ منهم الكثير وكانت قراءته تصويرية لمعاني الآيات تؤثر بالسامعين واضعاً امامه قول النبي صلى الله عليه وسلم «زينو القرآن باصواتكم فان الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا» وقوله «من لم يتغن بالقرآن فليس منا» وقوله «ما اذن الله لشيء ما اذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن الكريم يجهر به» وكان هذا من الأسباب التي شجعته على القراءة وفق الأنغام المقامية البغدادية الاصيلة، كانت قرائته حسبة لله بنية صادقة لوجهه لم يبغ شهرة أو مكانة أو نفع مادي.
في عام ١٩٤٢ اخضع جميع القراء لاختبار عسير لبيان مدى حفظهم لكتاب الله لم يوفق فيه غيره وحيدر الجوادي من الموصل.
تنقل الحافظ بين الكثير من جوامع بغداد مبتدأ بجامع السراي حتى استقر به المقام في جامع بنية وخلالها اصبح شيخ محفل القراء في جامع الامام الاعظم.
دخل الأذاعة عام ١٩٤١ ولما عُرف وذاع صيته في الأمصار دعي الى كثير من الدول وقرأ في مساجدابرزها المسجد النبوي والمسجد الأقصى ومرقد السيدة زينب في الشام والكويت وقد سجلت له هناك تلاوات نادرة محفوظة لليوم.
عاصر اغلب القراء البغداديين، أما قراءاته مع العرب فهي كثيرة فقرأ مع الشيخ عبد الفتاح الشعشاعي في وفاة الملكة عالية عام ١٩٥٠ حيث بدأ عبد الفتاح وبعده قرأ خليل فقال الشعشاعي بحقه «والله كويس خالص» وكررها وأردف «هكذا يقرأ القرءان لقد أعديتم علينا عندما أتصلتم بنا في مصر وعندكم هذا الخليل» وعند أنتهاء التلاوة باشروا بالختمة وكان الدعاء للحافظ خليل«اللهم أجعل أشرف صلواتك دائماً أبداً بعدد أنفاس الخلائق فرداً فردا فردا» الى أخر الدعاء وعند أنتهائه توجه نحوه الشعشاعي قائلاً:يحفظك الله أكرمك الله ما هذا الدعاء البركة وما فعلت بنا يا شيخ أريد منك أن تسجله لي واردف «إني لم أطرب ولم أكن أسمع مثل الحافظ خليل أنه وتر الكمان» كذلك ألتقى مع أبو العينين شعيشع في بغداد وقرأ معه والتقى مع الشيخ عبد الباسط عبد الصمد ومحمد صديق المنشاوي في الستينيات وأيضاً مع الشيخ محمود خليل الحصري وقرأ معه في القصر الجمهوري عام ١٩٦٤في شهر رمضان بحضور الرئيس عبدالسلام عارف.
قال العازف سامي الشوا لعدد من القراء العراقيين عندما سمع قراءة خليل «أحب أن أقول لكم أن تراثكم في التلاوات هو الأصل وما عداه هو الفرع وقد زرت عدة دول عربية ولم أسمع مثل هذا التراث العظيم فحافظوا عليه من الضياع وسط موجة الدواخل من الأنغام البعيدة كل البعد عن تراثنا الزاهر الأصيل» وقال عنه العلامة الشيخ جلال الحنفي ان خليل يعد أرشيفاً للأنغام البغدادية يجيد استعمالها ويحسن التجوال في أرجائها قرارا وميانة، وما من نغمة يتقنها قدامى المقرئين إلا كان الحافظ خليل في هذا المدخل تصل درجته إلى تسعين درجة وهي درجة عالية لا يرقى إليها سوى العدد القليل في العالم".
حضرت الى العراق عام ١٩٧٠ لجنه أزهرية لتعليم القراء ضبط أحكام وقواعد التلاوة القرآنية مؤلفه من شيخين أزهريين هما الشيخ رافع والشيخ محمود سيبويه وفتحوا دورة في جامع الحيدرخانه، ويروي الحاج محمد الخشالي صاحب قهوة الشابندر المعروفه القصة قائلاً «كنت أرافق الحافظ خليل وقد دخل على هذين الشيخين في جامع الحيدرخانه وكانا لايعرفان الحافظ خليل سابقاً وبعد السلام عليهما طلب منهما التسجيل في الدوره التي يفتحانها وأرادا سماع قراءته قبل درج اسمه لمعرفة قابليته الأقرائيه وما أن بدأ الحافظ خليل بالقراءة أمامهما حتى قفزا من مكانهما إعجاباً به وأندهاشاً لما سمعوا وقالا له توقف يرحمك الله ياشيخ، نرجو منك أن تفتح أنت لنا دوره لتعليمنا مثل قراءتك وأنقلب المجلس الى حفاوه بالحافظ خليل وخاصة بعدما عرفوا بمكانته بين القراء العراقيين واعتذروا منه اعتذاراً شديداً»
اجادته للمقام وانغامه
اجاد المقام وفنونه ووظفه لخدمة القرءان، فتراه يقرئ ايات العذاب والنار بانغام الصبا والسيكاه الحزينة ويقرئ ايات الجنة بانغام الحجاز والخلوتي المفرحة، يدلف الى الرست فيرتقي ميااناته «اي صيحاته» الواحدة تلو الاخرى بسهولة ويسر ويخرج منه الى المنصوري فيتناول السيكاه كمن يشرب فنجان القهوة ويعود الى البيات الذي ابتدأ القراءة فيه، ويمر على الخنبات والحكيمي ويتفنن بهما ويمرعلى الزنجران الذي عجز عن قراءته كل قراء القرءان كما فعل خليل، يمر بالمدمي والابراهيمي فيعذب بهما الروح والفؤاد قارئ لعرب فنية يعجز عنها كبار قراء المقام، وقرأ ايضاً بالانغام المصرية والتركية واجادها ايما اجادة دون خروج عن احكام التلاوة او احكام الانغام فكان قارئ قرءان مكتمل وقارئ مقام مكتمل، الا انه قطع على نفسه وعداً لشيوخه بعدم قراءة المواليد والمدائح والمناقب او المقام، قال عنه الموسيقارمحمد القبانجي "إن في صوته سحرا عجيبا وهو مقرئ العراق الأول دون منازع، نحن جميعاً بيد المقام العراقي، ولكن المقام بيد الحافظ خليل" وقال فيه الناقد الموسيقي عادل الهاشمي»هو القارئ المتميز في العراق وهو أعظم حنجرة جودت ورتلت القرءان الكريم في وقته وزمانه وقد تدرج بذكائه إلى نهج طريقة خاصة به في بناء قاموسه النغمي تدريجياً بما أستفاده من الأصغاء الى جمهرة قراء عصره أضافة الى أمتيازه بالأداء الجيد من الأصول والفروع فهو يبشر وينذر في تلاواته فضلاً عن تنقلاته النغمية المتماسكة في أسلوب التلاوة والمساحة الواسعة في صوته من قراره الى جوابه إلى جواب الجواب، قرأ الحافظ المقامات الرئيسية والفرعية كلها.
مواقف شخصية

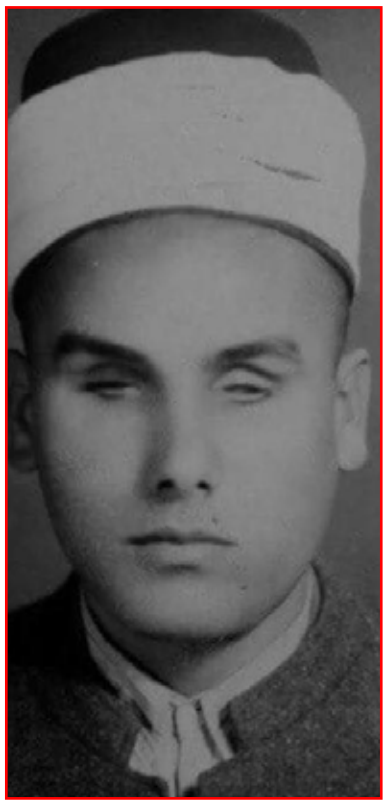

في احدى السنوات حضرت لجنة مكونه من كبار القراء المصريين لاختبار القراء العراقيين فقال لهم مدير الاوقاف في حينه عبدالحميد العاني «عم والدي» «اختبروا الكل الا الحافظ خليل» فرفضت اللجنة وقالوا «نحن اتينا بدعوة لأختبار كل القراء العراقيين ولا نستثني احد» ولاصرارهم وافق العاني على مضض وعندما بدأ الحافظ القراءة صدح باجمل المقامات ففغر اعضاء اللجنة افواههم وقالوا «اذا كان عندكم اصوات زي دي جبتونه ليه ده صوت من الجنة، انتو جبتونا ظلم»
كان سريع التصرف في المواقف الصعبة حيث يذكر والدي انه حضر الى الاذاعة في احد الايام للتسجيل وكان والدي هو المخرج فطلب منه القراءة بمقام السيكاه فقال له الحافظ «بس اني محضر روحي على البيات عود غير مرة اقرالك سيكاه» وابتدأ التسجيل فقرأ بعض الايات بالبيات ثم انتقل بعدها الى السيكاه، فقرئه وكل مقاماته الفرعية وانغامه، فقال له والدي»اذا ممحضر روحك وهيچ قريت اذا تحضر شلون»
كان رحمه الله ذكياً جداً في احدى المرات كان ابي يوصله من الاذاعة الى داره الجديدة «حيث تربطه بوالدي وجدي واخيه علاقة قديمة كون جدي قارئ مقام ومناقب وعم والدي كان مدير للأوقاف وبعدها وزير ووالدي مخرج ومعد برامج في الاذاعة» اخذ الحافظ يدل ابي الى بيته كأنه يرى الطريق شارع شارع حتى قال له توقف هنا عند احد الدور وصاح بصوته الجهوري وبلهجته البغدادية «حجية تره وصلت» يقصد زوجته التي كانت تقف خلف الباب الخارجي وهنا قال له والدي «كلها الا هاي شلون عرفت وصلنه بيتكم والطريق بعده جديد عليك وعرفت الحجية ورا الباب» فاجاب «مو كل اعمى اعمى ولا كل مفتح مفتح اني حسبت سرعة مشيك بالسيارة من الهوا الي يضرب ايدي وحسبت المسافة للبيت»
كان رحمه الله لا يحب التقرب من السلطة ففي احدى المرات اتصل والدي بالحافظ وابلغه بوفاة ميشيل عفلق وانه يجب عليه الحضورلقراءة القرءان فاجابه «لؤي انته لا اتصلت بيه ولا سمعت صوتي صار معلوم» فاجابه والدي «تمام عمو» وتكرر نفس الموقف في وفاة عدنان خير الله فأجاب بنفس العبارة «انته لا اتصلت ولا سمعت صوتي» في حين كان باقي القراء يتسابقون للقراءة
كان رحمه الله عفيف الطبع كريم النفس ففي مجلس عزاء جد والدي في جامع ١٤ رمضان كان كل قراء بغداد يحضرون للقراءة واداء الواجب «كون عمي والدي كما اسلفت مدير للاوقاف ووزيراً فيما بعد وجدي قارئ مقام» وعندما حان وقت الطعام اعد جدي مأدبة خاصة للحافظ لما له من مكانه، فسأل الحافظ ابي «عمو شنو الاكل» فأجابه «كذا وكذا عاداً اكثر من ١٠ اصناف للطعام» فقال الحافظ «انطيني قطعة لحم صغيرة وكبة حلب وحدة» ولما ساله ابي لما رفض الاكل وامامه مائدة عامرة اجاب بصوته الجهوري «عمو لؤي اني وجبت الزاد لخاطركم لكن اني احب اكل في بيتي على راحتي»
يردف والدي ان الحافظ تعرض لمحاربة من قبل العديد من القراء والشخصيات داخل وخارج الاذاعة، شخصيته قوية ويترفع عن الكثير باللهجة البغدادية «رجال عالي جناب وكبار لغ» وانه له مقدرة لايملكها غيره.
أصاب الحافظ مرض عضال لم يمهله طويلا فتوفي يوم الأربعاء الخامس من يوليو عام ٢٠٠٠ فكان ذاك اليوم حزيناً على محبي وعاشقي هذا الصرح الكبير،حزنت يومها كل مساجد ومنابر ومآذن العراق فقد ذهب الصوت الذي كان يجلجل فيها ويصدح بحنجرته الذهبية في رحابها، شيعت بغداد في اليوم التالي قارئها الاول من جامع المعز تشييعاً مهيباً إلى مثواه الأخير في مقبرة الكرخ.
الذي اراحنا بالقرءان لعقود توفي وفي قلبه غصه على أسر ابنه مهنى الذي وقع في الأسر وكان يتمنى رؤيته قبل وفاته، قبل اشهر زرت قبره ووجدت روضة تنبت فوقه المزروعات وتضله نخله عالية دون باقي القبور المجاورة، فسبحان الذي جازاه بما قدمت يداه واحسن.
كسب قلوب الملايين
بكت بتلاوته العيون
وخشعت بصوته القلوب والجوارح
صوته يدور حيثما دارت ايات الله
رفيقه القرءان
لم ولن ينجب العالم قارئا بحجم خليل
كل القراء يستظلون بظله
ينهلون من نهره العظيم
وهبه الله مالم يهب احداً غيره
فكان ممن تلى كتاب الله حق تلاوته
قارئ للفقراء وللأغنياء
قارئ للملوك والرؤساء
هو طفرة بكل المقاييس
بوفاته انثلمت في المدرسة العراقية للقرءان الكريم ثلمة وانفرط عقدها الثمين
ومهما تكلمت عنه لن اعطيه حقه
رحلت عنا ياخليل بجسدك وبقي صوتك المهيب وقرائتك مادامت السموات والأرض
شاء الله ان يجعلك من الخالدين
شاءت ارادته ان يكون اسمك مقرونا بكتابه العزيز وهو شرف مابعده شرف
لن تجد مجلس عزاء في بغداد لايصدح فيه صوتك
ماذا اكتب عنك وكتاب الله يشهد لك
ماذا اكتب عنك وكل المساجد والمآذن والمنابر تشهد لك
لن ننسى فضلك
لن ننسى عطائك
خليل اسماعيل لن تموت ابداً
وكتاب الله يتلى بصوتك
كَالْأَرْضِ تَحْيَا إِذَا مَا الْغَيْثُ حَلَّ بِهَا
وَإِنْ أَبَى عَادَ فِي أَكْنَافِهَا التَّلَفُ

عراقيون
من زمن التوهج

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة
المدى
للإعلام والثقافة والفنون

فخري كريم
رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير

رئيس التحرير التنفيذي
علي حسين

سكرتير التحرير
رفعة عبد الرزاق

يمكنكم متابعة الموقع الالكتروني
من خلال قراءة QR Code:

www.almadasupplements.com

Email: info@almadapaper.net

طبعت بمطابع مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

الحافظ خليل إسماعيل رائد القراءة في العراق

صباه ورحلته في طلب العلم

مرشد محمد الحيالي

الحافظ خليل في صباه: الحافظ خليل إسماعيل رائد القراءة في العراق ولد مكفوفا فولد ذلك حزنا عميقا لدى أهله لكن الله عوضه بالبصيرة القلبية والذاكرة القوية،فاكب على كتاب الله حفظا واستظهارا حتى أتم حفظه وهو في مراحل العمر الأولى،وظهرت عليه ملامح الذكاء وهيئ الله لصبره وتقواه من يوجهه ويعلمه،ومن أوائل من صحبه وتعاون معه في طلب العلم الأستاذ احمد عبد الستار الجواري،الكاتب المشهور والذي كان بقراء في المحافل قبل الجمعة في مسجد الست نفيسة وجامع القمرية بصوت شجي يطرب الإسماع،وقد لازم الحافظ طويلا وقد أجازه الحافظ الملا مهدي، وقد استطاع الجواري ان يتم حفظ القران بفضل صحبته للحافظ خليل وكانت الطريقة في حفظ القران تعتمد على التسميع والمراجعة بعد صلاة الفجر وفي هذه الأجواء الروحية والتي تبعث على الانشراح والاجتهاد استطاع الجواري والحافظ خليل ان يحفظا القران معا ويذكر عن الحافظ خليل انه كان يعرف جميع الوقفات على اختلاف أنواعها ويتذكرها على البديهية،وصحب الحافظ أيضا الزاهد الورع توفيق الناصري والذي تتلمذ على يديه العشرات من طلاب العلم في الفقه والتفسير وغير ذلك،وبعد ان تمكن الحافظ خليل من حفظ القران انتقل الى مساجد الفضل والاعظمية لينخرط مع طلاب العلم في الجمع بين القران وتلاوته وبين العلوم الدينية المختلفة.

لقد كانت مدارس بغداد تزخر بالمدارس التي يرتادها طلاب العلم للتفقه في الدين، فمن مدارس الكرخ إلى الفضل وانتهاء بمدارس الاعظمية،،فقد كانت مدارس الفضل تهتم بالعلوم الدينية والعقلية مثل مدرسة(تكية القمرية) ومسجد الفضل وغيرها كثير،وقد برز عدد من كبار العلماء في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين،ومن هولاء العلماء العلامة عبد الوهاب العبيدي وهو من اعيان العراق في القران الفقة واللغة والادب، وقد تلقى عنه كبار العلماء امثال قاسم القيسى ونجم الدين الواعظ وحمدي الاعظمي وغيرهم،وقد اصبحت مساجد الاعظمية ماوى لطلاب العلم ينهلوا من علوم الشريعة الغراء، وكانت الدروس تعقد بين صلاة المغرب والعشاء وبعد صلاة الفجر فهناك درس لمفتي بغداد قاسم القيسى في مسجد بشير الحنفي يتحلق فيه طلاب العلم حول الشيخ ليدرسهم في مختلف العلوم الاسلامية وهناك درس لتقي الدين الهلالى في مسجد خطاب ايام الاثنين والخميس في علوم الحديث والرجال وفقه التوحيد والعقيدة، وهناك مجلس لعبد القادر الخطيب في جامع الامام الاعظم وهو من اوسع المجالس،وكان يعقد للعلامة الزهاوي في جامع الدهان مجلسا لدراسة الفقة ومسائل في الزهد ومحاسبة النفس ومدرسة عادلة خاتون ومدرسها نجم الدين الواعظ وهي مختصة لدراسة العلوم النظرية والعقلية مثل المنطق والنحو والصرف والنقلية مثل التفسير والفقه والسيرة ومدرسة نائلة خاتون ومدرسها حمد رشيد ال شيخ وغيرها كثير، وهذا يدل على مدى النهضة العلمية وتطورها في ذلك العهد والذي شجع كثيرا من الموسيرين حتى من النساء الى التبرع الى الجهات الخيرية والوقفية من بقيت تلك الاسماء علما شامخا لامعا في سماء العراق مما يدل ايضا على جهود العلماء المخلصين ومكانتهم المرموقة واثرهم على شرائح المجتمع المختلفة ومكانتهم الاجتماعية بين الافراد.

في هذه الاجواء العلمية برز عدد من قراء العراق جمعوا بين العلم والدراسة وبين الاداء والصوت الجميل وكانت لتلاوتهم صدى واسعا في العالم الاسلامي منهم على سبيل المثال المقرئ الملا مهدي العزاوي البصير (١٨٤٩-١٩٥٩)اخذ القراءات على يد الملا على الفضلى الفقيه وقراء على عثمان الموصلي وقد كان الحافظ ذا صوت رخيم وله تلاوات مسجلة في دار الاذاعة،ومنهم المقرئ محمود عبد الوهاب(١٨٩٥-١٩٧٠) من ابرز قراء الحضرة القادرية نال اجازة من امجد الزهاوي والشيخ يوسف العطا وقداعجب به الحافظ عثمان الموصلي وقد قراء في المسجد النبوي وهو اول من قراء في دار الاذاعة ومنهم العلامة نعمان العمر الاعظمي كان زاهدا متعبدا عين اماما في مسجد حسن بك وسكن في المسجد وكان لايفتر ابدا من تلاوة القران كثير الصيام والقيام،ومنهم المقرئ السيد حسن الحسيني (١٨٦٠-١٩٤٠)اخذ علم القراءات عن المقرئ المشهور خليل المظفر كان اماما في مسجد خطاب بالاعظمية احتسابا لله ومنهم مقرانا الذي نترجم له فقد كان الحافظ خليل معاصرا لهولاء ومصاحبا لبعضهم وعلى شاكلتهم في الفقه والعلم والدراية فكان رحمه الله يرتاد الى مدارس العلم رغم ما كان يعاني منه لينهل من تلك الروضة الغناء والحديقة الخضراء ومن تلك الاشجار والثمار الطيبة ليغذي موهبته في التلاوة والصوت ليكون فيما بعد رائد القراءة في العراق

لقد كان لتجوال الحافظ في مدارس الفضل والاعظمية والكرخ ودراسته عند كبار شيوخ العلم في صباه لها الاثر البالغ في مستقبله العلمي والديني وكان تردده على بيوت الله وطلبه للعلم وصحبته للاخيار من عباد الله امثال ابو المكارم (من المقرئين المعروفين من قراء العراق وكان صاحب فراسة قوية وكان من عادته ان يختم القران مع الحافظ وغيره القران في التهجد وخاصة في ليالي رمضان)لها الاثر كذالك على سلوكه وادبه فقد كان صاحب خلق عظيم وادب جم،وقد صحب الحافظ مقرئين من الطراز الاول اثروا في شخصه وفي صقل موهبته الصوتية امثال المقرئ الحافظ مهدي ومحمود عبد الوهاب ممن لها صيت واسع في العالم الاسلامي يؤمئذ،وقد اثر عن الحافظ مواقف تدل على مدى ما كان يتمتع به من اخلاق عالية وصبر على البلاء وزهد عن الدنيا ومن تلك المواقف والتى رواها لي المقرئ عبد الرزاق الدليمي ما يلي: اولا:صبره فقد ضرب الحافظ المثل الرائع في صبره على المصائب ابتداء من فقدن بصره الذي يرى به نور الدنيا ولم يذكر عنه انه اشتكى الى احد من عباد الله بل كان يتمنى ان يرى بعض مظاهر الدين ويشتاق الى رؤية البيت الحرام ثم صبره على فقدان فلذة كبدة وزهرة حياته ابنه الذي كان حين يذكره تدمع العين ويحزن القلب وقد اورثه ذلك الحزن في النفس حزونة في الصوت تبدو واضحة عند التلاوة وكان غند قرائته لقوله تعالى (انما اشكو بثي وحزني الى الله)تبدو بشكل اوضح. ثانيا:زهده عن الدنيا فقد كان معروفا ببساطته فهو لايملك الابيتا بسيطا وكا نت ادارة الاذاعة كثيرا ماتتردد اليه واثناء تسجيل التلاوة تنطفاء الكهرباء فلا يجدون عنده ما يعينهم على اكمال التسجيل سوى الجلوس والتحدث لحين روجوع التيار الكهربائي،بل لم يكن يملك ما يملكه ابسط الناس وهو التلفاز حتى علمت به الدولة اخيرا فاهدت اليه جهازا بسمع به ترتيله وتجويد ومن بساطته انه كان يذهب بنفسه مع اهله لاجل اخذ ما يعرف ب(الحصة التموينية)كل ذلك مع شهرته في عموم العالم الاسلامي، وقد كان لعظيم زهده بل لورعه يابى ان ينفق مال ولده الذي مع شدة حاجته اليه كان يحتفظ به ويوصي اصحابة المقربين ا اذا وافاه الاجل ان يعطوا المال حين عودة وله الى ان وافاه الاجل وهو على تلك الحال.

الصوت الذي يوحّد العراقيين

فادي بعاج

إن كان لمصر هرمها الكبير في عالم تلاوة القرآن متمثلا بالمقرئ الشيخ عبدالباسط عبد الصمد، فإن للمشرق العربي والعراق هرماً كبيراً آخر لا يقل سحر بيانه وجمال حنجرته عن عبدالباسط كما عرف في الآفاق وبين مئات ملايين المسلمين، إنه الحافظ خليل إسماعيل، ابن بغداد القديمة.

وفي أيامنا هذه في شهر رمضان المبارك يحضر الحافظ خليل إسماعيل، بتسجيلاته في الاذاعات والقنوات التلفزيونية العربية، يحضر بتلاواته لآيات القرآن الكريم التي تسبق موعد الإفطار، تلاوات تطرب لها آذان مستمعيها، وخصوصا أولئك العراقيون الذين هجرتهم الحروب والأزمات التي عصفت ببلادهم.

هو بمثابة الطرب الرمضاني الذي يصغي إليه الإنسان بغض النظر عن كونه متديناً أم لا، يبحث عنه في مواقع الانترنت ووسائل التواصل الاجتماعي، ومنهم من يعتمد عليها للتدريب في تجويد القرآن الكريم، حيث أن هناك العديد من المواقع الالكترونية متخصصة بتقديم الدروس التعلمية والتطبيقية للتجويد على المقامات الموسيقية التي اشتهر بها الحافظ، ومن تلك المواقع، ما يقدم للمهتمين بعلم التجويد دروساً تفصيلية على عدة مقامات، مثل مقام الحجاز كار كرد ومقام الصبا و الحجاز على النهوند وغيرها من المقامات المعروفة، كما يقدم دروساً في المقامات العراقية القديمة كمقام الجبوري ومقام الدشت ومقام المخالف ومقام الأوشار، وغيرها من المقامات المنسية لمجودي هذا العصر.

وإن كان يمكن وضع التجويد في خانة الفنون، فهو فن روحاني يعتمد على مهارة مجوده وأسلوبه في تلاوة القرآن الكريم، خصوصا إذا اعتمد على المقامات الموسيقية والعراقية منها، التي تحمل شجناً يقرّب سامعيه من روح الله.

أبرز رواد هذا الفن الرفيع هو الشيخ الراحل الحافظ خليل إسماعيل عمر الجبوري شيخ القرّاء والمجوّد الأصيل، الذي امتلك صوتا ذا بصمة خاصة لا تخطئها الأذن، مع سحر في الأداء، يكمن سرّه في حلاوة نغماته في تجسيده للكلمات والمعاني في الآيات التي يقرأها، وتفرد في التلاوة، سرّ تميز به الحافظ وانفرد بفضله عن غيره، فلم يقلد غيره من العمالقة الذين ظهر في زمنهم، فأصبح بتلاوته الذاتية، مدرسة عذوبة أخذت مكانها بنغماتها القوية المؤثرة.

أصوات الكرخ البعيدة

ولد الشيخ المقرئ الحافظ خليل إسماعيل العمر في العام ١٩٢٠، في جانب الكرخ من مدينة بغداد، من أبوين عراقيين ومن عائلة دينية معروفة بتقواها وتقاليدها العريقة.

ولما بلغ صباه، حفظ القرآن الكريم بإتقان وتجويد رفيعين، بعد أن تتلمذ على يد الملا محمد ذويب الذي كان إمام مسجد السويدي القريب من مسكنه في محلة خضر الياس، تعلم أيضاً وأتقن علوم التلاوة والتجويد على الملا جاسم سلامة الذي أشرف عليه واحتضنه كثيراً لذكائه المتميز، بعدها درس على يد الملا رشيد ثم الملا عبدالله عمر ثم الملا إبراهيم العلي ثم الملا عواد العبدلي، وقد كانوا من كبار القراء في بغداد. ولكنه تأثر كثيرا بالملا جاسم محمد سلامة الذي كان مدرسا بارعا لجميع القراء ومنهم عبدالفتاح معروف.

من الأسباب التي كانت تدفع الحافظ خليل إلى القراءة وفق المدرسة المقامية البغدادية الأصيلة، تشجيع الحاج نجم الدين الواعظ له، فقد كان يحب تلاوته ويحب أن يسمع منه مقام الخلوتي من الماهوري والحويزاوي والمخالف والبهيرزاوي، أما الشيخ قاسم القيسي فكان يحب أن يسمع منه قراءة القرآن الكريم على نغمة التوريز

عند بلوغه سن الثالثة عشرة، دخل خليل إسماعيل المدرسة العلمية الدينية في جامع نائلة خاتون في بغداد، والتي كانت وقتها بإدارة الحاج نجم الدين الواعظ والشيخ قاسم القيسي، وقد اختصت هذه المدرسة بتعليم أصول الفقه والحديث والتفسير والعقائد وقراءة القرآن، وتخرج منها سنة ٣٤٩١، وقد كان للشيخ نجم الدين الواعظ الفضل الأكبر في مسيرة الحافظ خليل إسماعيل وفي شهرته وسمعته في عالم التلاوة والتجويد إذ كان له مرشداً ومعلماً ومربياً وموجهاً وكان يتلقى منه دروساً يومية منتظمة في النحو والصرف والتجويد، ودخل المدرسة ذاتها مرة ثانية سنة ٤٤٩١، وتخرّج فيها سنة ٣٥٩١ ونال الشهادة الدينية وكان الأول على أقرانه.

مقرئ الإذاعة العراقية

في سنة ٧٣٩١، عين خليل إسماعيل بجامع السراي في بغداد، ليشغل بعدها رئاسة محفل القراء في جامع الإمام أبي حنيفة النعمان، وأخذ ينتقل إلى عدة جوامع منها جامع الشيخ صندل وجامع شهاب الدين السهروردي، وكان آخر المطاف في جامع البنية.

وفي سنة ١٤٩١، تقدم الشيخ خليل إسماعيل ليكون مقرئاً في دار الإذاعة العراقية، وكانت أول تلاوة له في يوم ١١ سبتمبر ١٤٩١ وكانت من سورة المؤمنون، وكان البث في دار الإذاعة حينها على الهواء مباشرة، حينها سحر سامعيه ووصل صوته للعراقيين كافة، وبدأت شهرته تزداد، باتساع نطاق بث الإذاعة العراقية التي بدأ الكثيرون من أصحاب محلات بيع الأسطوانات تسجيل تلاوات الحافظ التي تبثها، وبعد أشهر عدة أصبح المقرئ الأول للإذاعة ذاتها.

وفي عام ٢٤٩١، وجه الأستاذ الكبير نشأت السنوي دعوة إلى دار الإذاعة يدعوهم فيها إلى الرعاية والعناية بالمقرئين في دار الإذاعة وإلى توجيه الدعوة لجميع المقرئين في الإذاعة للحضور إلى ديوان مديرية الأوقاف لإجراء الاختبار والامتحان لمن يستحق أن يلقب بلقب الحافظ، لأن كلمة الحافظ تعني معرفته لعلوم القرآن الكريم، وبعد إجراء الاختبار والتمحيص من لجنة ألفت من ثلاثة من كبار العلماء وممثل عن الأوقاف وآخر عن وزارة العدل وقاضي بغداد وكاتب المجلس وكان أحدهم الحافظ سيد الجوادي وهو من أهالي الموصل، وكان مقرئاً آنذاك في دار الإذاعة، والوحيد الذي استطاع الحصول على هذا اللقب في ذلك الامتحان هو الحافظ خليل إسماعيل، لذا فإنه لم ينل لقب الحافظ اعتباطاً أو مجرد صدفة بل ناله بجدارة واستحقاق عاليين.

امتازت قراءة شيخ القراء العراقيين بنغمتها البغدادية لما لهذه القراءة من جذور عند قرّاء بغداد القدامى، فسجل إسماعيل القرآن الكريم مرتلا بالكامل، وأشاد به الكثيرون من علماء الدين في أنحاء العالم بكامله ووصفوه بأجمل الأوصاف، حيث قال عنه المغني والموسيقار الكبير محمد القبانجي "إن في صوته سحرا عجيبا وهو مقرئ العراق الأول دون منازع، نحن جميعاً أذلاّء بيد المقام العراقي، ولكن المقام ذليل بيد الحافظ خليل".

المستمع اليوم إلى تسجيلات الحافظ خليل إسماعيل، لا يصدق أنه سيسمع من ذلك الرجل تجويدا قرآنيا على أغلب المقامات والنغمات ومنها نغمة مقام الحجازكار، نغمة مقام الراست، نغمة مقام الحجاز كرد، نغمة مقام الحجاز نهاوند، نغمة مقام الصبا، نغمة مقام العجم عشيران، نغمة مقام الخنبات، نغمة مقام الحديدي، نغمة مقام المنصوري، وغيرها من المقامات والنغمات

وتر الكمان

الموسيقار الكبير سامي الشوا خاطب الحافظ خليل بقوله "أنت التراث وتراثكم في التلاوات هو الأصل، ولقد زرت عدة أقطار ولم أسمع بمثل هذا التراث العظيم".

أما العلامة الشيخ جلال الحنفي فقد رأى أن الحافظ خليل إسماعيل يعد أرشيفا للأنغام البغدادية يجيد استعمالها ويحسن التجوال على أرجائها قرارا وميانة "وما من نغمة يتقنها قدامى المقرئين إلا كان الحافظ خليل في هذا المدخل تصل درجته إلى تسعين درجة وهي درجة عالية لا يرقى إليها سوى العدد القليل في العالم".

وفي العام ١٥٩١، عندما زار العراق المقرئ الشيخ عبدالفتاح الشعشاعي، قال بحقه "إني لم أطرب ولم أكن أسمع مثل الحافظ خليل" ووصفه بأنه "وتر الكمان".

"بستان الأنغام العراقية" كان من أجمل الألقاب التي نالها الحافظ خليل إسماعيل، والذي أطلق هذا اللقب عليه، كان محمد القبانجي بسبب إتقان الحافظ وترتيله القرآن على نغم ومقام الزنكران، الذي لم يجرؤ أحد من المقرئين على أن يقرأه، وذلك لصعوبة أدائه وترتيله، ولكن الحافظ إسماعيل قرأه بكل إتقان ودقة متناهية، كانت قراءته تصويرية لمعاني الآيات تؤثر بالسامعين والسبب في ذلك قوله "إنني عندما أقرا القرآن الكريم أجعل أمامي قول النبي (ص) "زيّنوا القرآن بأصواتكم فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا".

وكان هذا من الأسباب التي تشجّعه على القراءة وفق الأنغام المقامية البغدادية الأصيلة، كما كان تشجيع الحاج نجم الدين الواعظ له فعله المؤثر في نفس الحافظ، فقد كان يحب تلاوته ويحب أن يسمع منه مقام الخلوتي من الماهوري والحويزاوي والمخالف والبهيرزاوي، أما الشيخ قاسم القيسي كان يحب أن يسمع منه قراءة القرآن الكريم على نغمة التوريز.

أتقن خليل إسماعيل التجويد على أغلب المقامات والنغمات ومنها نغمة مقام الحجازكار، نغمة مقام الراست، نغمة مقام الحجاز كرد، نغمة مقام الحجاز نهاوند، نغمة مقام الصبا، نغمة مقام العجم عشيران، نغمة مقام الخنبات، نغمة مقام الحديدي، نغمة مقام المنصوري، وغيرها من المقامات والنغمات.

المدرسة الخليلية

أصاب الحافظ مرض عضال ولم يمهله طويلا، فتوفي يوم الأربعاء الخامس من يوليو من العام ٢٠٠٢، وفي صباح اليوم التالي شيعت بغداد مرتلها وشيخ قرائها الحافظ خليل من جامع المعز تشييعاً مهيباً إلى مثواه الأخير في مقبرة الكرخ، ويتقدمهم العلماء والأحباب والكتاب والشعراء والمقرئين والمواطنين، وبدأ أقرباؤه بحفظ وأرشفة كل تسجيلاته لتتناقلها الأجيال حتى يومنا هذا، حيث أصبح تداولها أسهل من ذي قبل، بسبب انتشار الشبكة العنقودية، ونشوء مواقع التواصل الاجتماعي، وتكون متاحة بشكل أوسع لمتذوّقي التجويد، ولتكون هذه التسجيلات مراجع لطلاب العلم في تلاوة القرآن الكريم.

كان الحافظ خليل اسماعيل أحد عمالقة القراء، فهو كبير مدرسة التلاوة العراقية في القرن العشرين، حتى أن تلاواته أصبحت تسمى المدرسة الخليلية لما احتوته من أساليب رفيعة ونغمات وألحان وتلاوين غنية كل الغنى لمن أراد أن ينهل من كنوزها ويتمتع بسماعها.